# الجانبان النفطي و"التسووي" في جولة كيسنجر الحالية .

## الاتفاق المصري الاميركي حول التسوية الجزئية مؤجل الاعلان لتحقيق مكاسب اميركية نفطية وللتحايل على بعض التعارضات في جبهة التسوية

**لم يعد خافيا على احد ان الولايات المتحدة ، في تعاطيها مع « ازمة الشرق الاوسط » ، تربط بين التسوية السياسية والتسوية النفطية .. لا بل اكثر من ذلك تحولت تسوية الصراع العربي — الاسرائيلي الى مجرد اداة من ادوات « حرب المواد الاولية » التي تشنها واشنطن على البلدان المنتجة لتلك المواد ، وفي مقدمتها البلدان المنتجة للنفط . فالاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ اصبح عبارة عن عملية استيلاء على مساحة معينة من الارض قام كيسنجر بفرزها من جديد ليعود فيبيعها للعرب قطعة وراء قطعة وباسعار سياسية واقتصادية فاحشة .**

ولعل وضوح هذا التوجه الامبريالي الاميركي ، لم يكن جليا في اية رحلة من رحلات كيسنجر الى المنطقة، كما هو في رحلته الحالية .

فهذه الرحلة تتميز بما يلي :

● **اولا :**

انها الرحلة الاولى لوزير الخارجية الاميركي ، بعد تهديداته الشهيرة باحتمالات التدخل العسكري في مناطق انتاج النفط ، تلك التهديدات التي كررها من بعده كل من رئيسه فورد ووزير دفاعه شليسنجر، وغيرهما من المسؤولين الاميركيين .

● **ثانيا :**

تتم هذه الرحلة في ضوء احتدام الازمة العامة للنظام الراسمالي ( وصلت البطالة في الولايات المتحدة نفسها الى ٩ ملايين وهو اعلى رقم تصله في تاريخ اميركا ) .. وقد تحولت هذه الازمة على ايدي المسؤولين الامبرياليين واجهزة اعلامهم الى حملة تهويش عدوانية ضد البلدان المصدرة للنفط ، مع ان النفط يشكل عاملا ثانويا جدا من عوامل تلك الازمة .

● **ثالثا :**

تتم هذه الرحلة مباشرة بعد انعقاد مؤتمر « لجنة الطاقة الدولية» الممثلة للبلدان الراسمالية الصناعية، ذلك المؤتمر الذي درس الخطة الاميركية بشان تحقيق المزيد من الاستيلاء على نفط العالم ، وتخفيض اسعاره كخطوة اولية في هذا السبيل . ( سنشرح هذه الخطة فيما بعد ) .

● **رابعا :**

تتم هذه الرحلة وسط عدد من العمليات التحذيرية والتهديدية الرمزية ، ( الاعلان عن عقد المرتزقة الاميركيين يعتبرون البلدان المصدرة للنفط مسؤولة عن الازمة التي تعاني منها اميركا ) .

● **ثانيا :**

حرب التهديد بالتدخل العسكري ، وهي مرتبطة بالحرب الاولى ، لارهاب البلدان المصدرة ودفعها لتجميد الاسعار كمرحلة اولية قبل المطالبة بتخفيضها، وكان من نتائج هذه « الحرب » ان شن احمد زكي اليماني وزير النفط والمعادن السعودي حملة عنيفة على الكويت لانها دعت الى لقاء استثنائي للأوبك من اجل بحث رفع الاسعار مجددا على ضوء التطورات النقدية الدولية والخلل الراهن في التجارة الخارجية الراسمالية والارتفاع الفاحش في اسعار المواد المصنعة . واعلن اليماني في حملته تلك مطالبة السعودية بالاستمرار في سياسة تجميد الاسعار الحالية للنفط ، وتمديد فترة التجميد تلك حتى العام القادم .

● **ثالثا :**

شق وحدة البلدان المصدرة للنفط ، مقابل تعميق وحدة البلدان المستهلكة . وذلك اعتمادا على تخفيض مكاسب مباشرة للبلدان الراسمالية من سيادة المعما الفظيعة ، ودفع الدول النفطية «الصديقة» الى الخضوع لتلك السياسة ، والاختلاف مع الدول النفطية الاخرى التي لا تقبل بذلك الخضوع ، ولعل الخلاف الكويتي — السعودي حول الاسعار يعتبر مثالا نموذجيا على نجاح هذه الوسيلة .

● **رابعا :**

بعد ذلك تاتي مرحلة المطالبة بتخفيض الاسعار ، وهذه المطالبة لن تتم بشكل علني وعام ، بل سوف يجري ربطها مع بعض الاطراف « المؤهلة » لقبولها ببعض المصالح السياسية لتلك الاطراف . وهي تشكل مسالة التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط « المفتاح السحري » لترتيب مسالة التخفيض مع السعودية اولا، على اساس انها تشكل احدى الدول النفطية الاساسية في « الأوبك » ، كما اصبحت في الاونة الاخيرة ذات ثقل سياسي خاص ومؤثر في عدد من الاقطار العربية ، لا سيما ذات العلاقة المباشرة بمسالة التسوية السياسية .

### فكيف يجري التعاطي الاميركي مع السعودية ؟ ؟

بعد ان دفع الاميركيون بالنظام الرجعي السعودي للحصول على المزيد من النفوذ والتاثير السياسيين في عدد من الاقطار العربية ، وربطوا بين ذلك وبين مساعيهم « الحميدة » لتحقيق التسوية ( مساعي كيسنجر ، وبتهديد ذلك النفوذ كلما بدا ان المسعى الاميركي قد وصل الى طريق مسدود ) بعد ان تحول هذا الموقع السياسي الجديد للرجعية السعودية ، الى ورقة ضغط اميركية على الرياض، حيث صارت واشنطن تطالبها بتقديم المزيد من التنازلات لخدمة تلك المساعي المرتبطة بها وبنجاحها وتراجع النفوذ السعودي عربيا وتطوره واتساعه .

ومن هنا بفهم اعلان كيسنجر عن ان جولته الحالية ، ليست سوى جولة « استطلاعية » تتاجل نتائجها التنفيذية الى جولة اخرى في الشهر القادم.. من هنا يفهم اعلان على انه طلب مباشر للسعودية كي تتخذ موقفا ملائما للمصالح الاميركية في مؤتمر قمة البلدان المصدرة للنفط الذي سيعقد في الجزائر اوائل الشهر القادم ، وتلويح بعدم تقدم مساعي كيسنجر « الحميدة » اذا لم يحدث ذلك الموقف .. وما من شك ان الوزير الاميركي سوف يتولى شرح تفاصيل هذا الابتزاز للمسؤولين السعوديين خلال زيارته للرياض من ضمن جولته الحالية في المنطقة .

والامبريالية الاميركية المراهنة مراهنة شديدة على موقف السعودية داخل « الأوبك » ، لا تترك ذلك الموقف لتاثيرات هذا الابتزاز فحسب ، بل هي تزيد من ضمانها له بجملة من اساليب الضغط والسيطرة .. ومن هذه الاساليب :

● فرض وجود اكبر لخبرائها المدنيين والعسكريين داخل جميع اجهزة السلطة ، حيث يشكل هؤلاء الخبراء والمستشارين مركز القوة الرئيسي المتواجد ضمن جميع مراكز القوى المتناحرة في بهو السلطة السعودية .

● دعم هذا المركز المتشعب للخبراء والمستشارين ، بوجود عسكري اميركي خاص ومباشر ، وغير رسمي في الوقت نفسه ، وذلك بواسطة « عقد المرتزقة » الذي اعلن عنه مؤخرا بين السعودية ووزارة الدفاع الاميركية ، لارسال محاربين اميركيين قدماء في عدادهم كي يتولوا تدريب قوات الحرس الوطني السعودي وقيادته والاشراف عليه ، كما تقول المصادر الاميركية .

● تصعيد « حرب الامراء » داخل الاسرة الحاكمة، وعمل جميع اطراف تلك الحرب مضطرين للجوء الى الاستنجاد بالتاييد الاميركي ، وبالتالي وضعهم جميعا في حالة الاستعداد لقبول « النصائح » السياسية الاميركية ، وتنفيذها .

من هذا الجانب تبدو رحلة كيسنجر الراهنة ، وكانها مرتبطة بشكل رئيسي مع التحضير لموقف سعودي اكثر تخاذلا في اجتماع قمة البلدان المصدرة للنفط في الجزائر ، وهذا بشكل لدى كيسنجر هما اساسيا في المرحلة الراهنة لتفتيت وحدة البلدان المصدرة للنفط واضعافها في وجه جبهة البلدان الراسمالية الصناعية التي تزداد وحدة وتماسكا يوما .

### ماذا عن الجانب الآخر في رحلة كيسنجر ؟ ؟

في كون الجانب النفطي ، يشغل الحيز الاكبر من اهتمامات كيسنجر في رحلته الحالية ، لا يلغي اهتمامه بمتابعة مساعيه « الحميدة » لتحقيق التسوية المرحلية التي يسعى اليها للصراع العربي — الاسرائيلي ، وبالذات الخطوة الجزئية الجديدة بين النظام المصري واسرائيل . تلك الخطوة التي تشكل المدخل الرئيسي لاستكمال الاطباق الاسرائيلي — الاميركي على مجريات التسوية ، اطباقا شاملا ونهائيا .

في هذا النطاق — وبالنسبة للمخطط الاميركي — لجا كيسنجر الى تكتيك شديد المرونة تجلى على الشكل التالي :

١ — حفظ خط العودة ، في حال عدم تمكنه من استكمال اللمسات الاخيرة على هذه الخطوة في زيارته الحالية ، فاعلن مقدما عن ان هذه الزيارة ليست الا جولة استطلاعية .

٢ — حاول ان يخفف من حدة معارضة السوفييت لهذه الخطوة ، وذلك باتخاذه موقفا علنيا اكثر مرونة من مسالة « جنيف » التي يعتبرها السوفييت المسالة الاساسية في التسوية ..

٣ — حمل معه كل ما لدى الولايات المتحدة من ثقل سياسي وعسكري واقتصادي في هذه الرحلة بالذات ، والتي يسميها مع ذلك ، « رحلة استطلاعية » !! وقد تجلى ذلك النقل الذي حمله بـ :

ا — تهديد جديد من الرئيس فورد باحتمال نشوب الحرب في المنطقة اذا لم تنجح مساعي وزير الخارجية الاميركية الحالية ( وقد اذيع هذا التهديد صباح اليوم الذي وصل فيه كيسنجر الى القاهرة ) .

ب — تكثيف للاتصالات الاقتصادية الاميركية — المصرية ، فقبل ايام من وصول كيسنجر الى القاهرة، كان هناك وفد من شركة « اميركان اكسبرس » لبحث اتفاق للتعاون في مجال السياحة والفنادق مع الحكومة المصرية .. كما وصل العاصمة المصرية يوم وصول كيسنجر وفد اخر يمثل الحكومة الاميركية برئاسة السيد اندرسون وكيل وزارة الخارجية الاميركية للشؤون الاقتصادية ، وذلك لبحث المزيد من التعاون بين مصر واميركا .

ج — صدرت تصريحات اميركية جديدة حول ضمان اميركا لامن اسرائيل .. في الوقت الذي نشرت فيه في عدد من الصحف والمجلات المقربة من البنتاغون ، انباء عن الدور العسكري الاسرائيلي في اية خطة عسكرية اميركية لاحتلال منابع النفط في الشرق الاوسط .

### ماذا عن استجابة النظام المصري ؟

بالرغم من جميع المظاهر الاعلامية والاعلانية التي ابداها النظام المصري خلال هذه الفترة ، لتغطية استجابته الكاملة للخطة الاميركية ، فان الحقائق كانت بارزة من ضمن بعض الفجوات غير المكملة في عملية التغطية .

لقد استند النظام المصري في تغطيته على مسالتين :

● **الاولى :**

هي المظاهر بعودة التحسن للعلاقات المصرية — السوفياتية ، وذلك لتغطية حجم الازمات الخانق في احضان الولايات المتحدة ، وفي هذا الصدد ، استغل النظام المصري زيارة غروميكو على اوسع مدى ممكن ، لا سيما عندما تحدث الرئيس السادات عن المرحلة الجديدة في علاقات القاهرة مع موسكو ، وعن الزيارة القادمة للرئيس بريجنيف . مع ان البيان المصري — السوفياتي المشترك ، لم يتضمن اي شيء من ذلك . في الوقت الذي خلا فيه من اية اشارة الى موضوع « تعزيز القدرة الدفاعية » او « التعاون العسكري » ، وهو الامر الذي طالما كان الرئيس السادات ينطلق منه للحديث من خلافه مع موسكو .

كما ان النظام المصري قد اتخذ خطوة جديدة في تصعيد الخلاف مع السوفيات عندما اقدم في اليوم الذي وصل فيه غروميكو الى القاهرة ، وقبل ايام من وصول كيسنجر على اتهام العناصر اليسارية المعتقلة في مصر بالاتصال مع الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا للتآمر من اجل الاطاحة بنظام الرئيس السادات .

● **والثانيه :**

هي تغطية التفرد الذي تشكله الخطوة الجزئية الجديدة ، على الصعيد العربي .. وفي هذا الصدد صدر اكثر من تصريح عن الرئيس السادات نفسه وعن عدد من المسؤولين الاخرين ، بان القاهرة مصرة على تحقيق انسحابات مماثلة في كل من الجولان والضفة الغربية ، ومصرة على دعوة منظمة التحرير الى جنيف .

وواضح من هذه التصريحات ، ان الغرض هو تطويق امكانيات المعارضة السورية الرسمية ، او الفلسطينية الرسمية ، للاتفاق الجزئي الجديد بين مصر واسرائيل .

لكن هذه المحاولة ، لا يمكن ان تلغي الانفراد او تغطيه ، الا اذا كان الطرفان الموجهة اليهما ، موافقين ضمنا على عملية التغطية . طالما ان الانسحاب الجزئي في سيناء سيتم قبل الانسحابات الاخرى الواردة في تلك التصريحات ، فما الذي يضمن ان تتم تلك الانسحابات الاخرى ، بعد ان يكون « فك الارتباط » على الجبهة المصرية قد جرى توسيعه مجددا ، بشكل غدت معه مصر عمليا ، خارج دائرة الضغط العسكري او الحرب .. اي بعد ان يكون الغرض الاميركي من الخطوة الجزئية قد تحقق بكامله ؟؟

**من كل ما تقدم يتضح ان الخطوة الجزئية الجديدة بين مصر واسرائيل بات متفقا عليها بصورة نهائية بين النظام المصري والامبريالية الاميركية ، اما الشيء الجاري حاليا فهو امران متعلقان بالاخراج وهذان الامران هما :**

**١ — ربط تحقيق تلك الخطوة بموقف سعودي اكثر تخاذلا لمصلحة اميركا في اجتماع قمة البلدان المصدرة للنفط .**

**٢ — تمرير تلك الخطوة الجزئية ، بشكل متحايل على ما بدا في المرحلة الماضية من معارضة سوفياتية وتناقضات رسمية داخل انظمة وقوى التسوية على الصعيد العربي .**

●